مركز الناطور للدراسات والأبحاث

بكر ابوبكر

معضلة الفضائل الوطنية وأفول نجم التنظيم

معضلة الفصائل
الوطنية
وأفول نجم التنظيم!

بكر أبوبكر

نشر

مركز الناطور للدراسات والأبحاث

مركز الانطلاقة للدراسات

معضلة الفصائل الوطنية وأفول نجم التنظيم

المؤلف: بكر أبوبكر

الطبعة الاولى 2022م

مركز الناطور للدراسات والأبحاث



مركز الانطلاقة للدراسات

مركز الانطلاقة للدراسات
ALENTILAQAH RESEARCH CENTER (A.R.C)

المحتويات

بناء النظام (القانون/اللائحة)
التنظيم المرتبك والتنظيم الواثق
العضو أولًا وليس القائد و6 أمور فقط

خاتمة.

مقدمة: معضلة الفصائل الوطنية وأفول نجم التنظيم!

تعاني التنظيمات السياسية[1] اليوم في فلسطين أساسًا من معضلات ثلاث تتلخص بالفهم، ثم الرؤية والاستراتيجية فالوعاء (التنظيم الحامل)[2].

وعليه يمكننا القول أن المعضلة الأولى هي في كيفية فهم طبيعة المرحلة الحالية هل هي مرحلة تحرر وطني أم هي مرحلة حكم ذاتي محدود باتجاه الدولة، أم مرحلة تكريس الدولة أم امكانية الجمع بينهما. أم ماذا؟

---

[1] الجماعة اثنان أو أكثر بينهم تفاعل اجتماعي، أما المنظمة (الفصيل، التنظيم...الرسمي وغير الرسمي، والربحي وغير الربحي) فهو بتعريفنا: مجموعة من الأفراد المؤمنة والملتزمة التي تلتئم حول فكرة أو هدف أو حاجات جامعة، وتقوم بعمل مشترك لتحقيقه، ويضمها هيكل (إطار تنظيمي) يوزع المسؤوليات والعلاقات والجهود والآليات، ضمن النظام (الدستور) الناظم. وغالبًا يفهم التنظيم أو المنظمة الرحبة بيئة مفتوحة وليست مغلقة كما الحال في التنظيمات الأيديولوجية الصارمة، أوالسرية المتطرفة.

[2] المنظمة أو التنظيم السياسي يحمل الفكرة أساسًا على أكتاف الأعضاء وتُرى حيّة عبر العمل الجاد المثابر.

وفي جميع الاحوال تتوقف الرؤى عند المتخاصمين السياسيين في الساحة الفلسطينية عند حدود المشروعين المتصارعين الذيْن يعتبرهم المتطرفون والاقصائيون غير قابليْن للالتقاء بينما يرى المعتدلون أو الوحدويون امكانية الوصول بهما لمنطقة وسطى أي فهم طبيعة المرحلة أنها مرحلة تحرر وطني (ربما معدّلة)، وبالتالي ما ينشأ عن ذلك مقابل الفهم القائم على أنها مرحلة البناء والاستقرار نقيض مرحلة التحرر.
في الحالتين نشهد جدلًا فكريًا عميقًا، وأحيانًا عقيمًا حين يتم التعبير عنه بكلمات قاسية أوشتائمية في كثير من الأحيان وعبر المواقف المتصادمة والمتضاربة بدلًا من النقاش والحوار والاستيعاب.
نتساءل هل هناك من فهم مشترك، ثم رؤية جامعة ثم وعاء جديد يتجاوز القائم داخل المنظمات عامة؟
أي هل يوجد تيار عريض داخل كافة التنظيمات السياسية الفلسطينية –عابر للتنظيمات السياسية- يرى إمكانية الاتفاق على وسطية الفهم والرؤية والوسيلة الناجعة والقادرة على الاقتراب من بعضها

البعض في سياق نسيج وحدوي لا يخشى كسر القوالب الجامدة، ويتخلى عن الأفكار المسبقة أو الاعتبارات العقدية أوالأيديولوجية؟ أو يتخلى عن الأنوية (الأنوية من طغيان الأنا سواء الذاتية أو الوالدية أوالحزبية) الاستبدادية التي محصلتها أفول نجم القضية الفلسطينية بيد أصحابها.
نحاول في هذه الورقة أن نفكر معًا ونفتح الباب العريض لعلنا نصل دون ارتهان لافتراضات مسبقة.

الفصل الأول
الفهم والرؤية

حين توجد الثورة أو حرب التحرير الشعبية[3]، أو حالة التحرر الوطني توجد حالة عدم الاستقرار وهدم للقديم المستقر، إنها حالة تهديد مطلوبة للوضع الفاسد القائم (الاستعمار أوالاحتلال، أوالظلم...)، ويوجد الغضب والكفاح والتعبئة والشحن بأشكاله السلمية أو العنفية الثورية، وحيث فُهمت المرحلة أنها بناء واستقرار، فالبناء نقيض الهدم للأسس القديمة التي تأتي الثورة لتقويضها، وبناء النموذج البديل.

من هنا وضمن فهم الهدم والبناء أوالمقاومة مقابل السلطة؟ يصبح التعامل مع العدو الرئيس (الاسرائيلي المحتل) والنقيض الثانوي (صاحب وجهة النظر الأخرى) وكأنهم سواسية وفق الفهم الحِدّي المتطرف بمعنى تصبح السلطة أوالحكم الذاتي أو مكونات الدولة (البناء) مستهدفة أحيانًا قبل وأحيانًا بعد التناقض الرئيس، وهو ما يسميه متطرفو الفصائل الفلسطينية وعلى رأسهم التيار المتطرف في فصيل "حماس"

[3] في إطار الثورات العالمية وفي فلسطين كانت حرب الشعب طويلة الأمد أو طويلة النفس.

المؤمن بما يطلقون عليه مدرسة أومعسكر الفسطاطين! بمعنى أن المناضلين يقفون مقابل الانهزاميين أوالمستسلمين، وعليه يأتي وصم المشاريـع وأصحاب المشاريـع، وأوعيتهم التنظيمية عامة بما يؤخّر أو يمنع الحوار الديمقراطي والتفكير الوسطي، أوالتلاقي.

فهم[4] المرحلية مقابل الجذرية

إن فكرة الفهم للمرحلة إن لم تكن متوحّدة ومنضبطة ضمن آليات ونظُم ومشاريـع يصبح الانسان العادي

---

4 دعنا نعرف "الفهم" هنا أنه: واحدة من أهم القدرات التي يملكها البشر لأنه من خلالها يمكن التعرف على واستيعاب تلك الأشياء التي تحيط بنا، والمواقف السياسية وغيرها التي تنشأ في الحياة. ويستند الفهم على طبيعة المرجعيات العقلية والفكرية، والظروف المحيطة والتعليم وعوامل بيئية ترتبط بالشخص أو التنظيم (الجماعة).

بعد العضو التنظيمي في حالة تيهٍ فلسفي سياسي بين النظرية والتطبيق وبين الشعارات المرفوعة والتطبيق العملي. حيث نجد عمليًا سلطتين في كل من الضفة مقابل قطاع غزة وكلتيهما تقومان بنفس الدور الملتبس في عدم تطبيق لأي من الفهمين وفي محاولة ثبت فشلها بالتجربة للدمج بينهما.

فكرة المرحلية لم تكن فكرة جديدة في النضال الفلسطيني اليوم وإنما جاءت اجتراحًا فذّا للتعاطي مع الجذري مقابل ما أصبح المرحلي.

المرحلية منذ العام 1973 جاءت على إثر توقف جبهات القتال عن إطلاق حممها وفق ما صرّح به الرئيس المصري الراحل أنور السادات بأن حرب رمضان آخر الحروب، وبالتالي تخرج مصر ومعها الأمة العربية من المعركة الحربية للتحرير، ما يعني سقوط كل تنظيرات "هانوي العرب" أو الدعم العسكري العربي للمقاومة الفلسطينية وما أدى حكما لتبني شعار انتقالي يقول "المقاومة العسكرية تزرع والعمل السياسي يحصد" وصولًا لاعتماد منهج المقاومة الشعبية التي

اجترحتها حركة الجماهير الفلسطينية في الوطن منذ العام 1987م عبر انتفاضته الكبرى الأولى حديثًا[5] تحت دعم أمير الشهداء خليل الوزير.
إذن جاءت فكرة المرحلية ليس للقضاء على فكرة الجذرية وإنما نتيجة فهم صادق للمرحلة وكيفية التعاطي معها وفق الموازين تلك القابلة للتغيير [الانسان أحد أدوات هذا التغيير] وضمن فهم معادلة المعسكرات والصديق والعدو والتناقض الرئيس والتناقض الثانوي، وهو ما كان واضحًا في تنظيرات مفكّر الثورة الفلسطينية خالد الحسن لفكرة إقامة سلطة فلسطينية على أي شبر يتم تحريره أو استرداده ليس باعتباره الغاية أو الهدف النهائي وإنما باعتبارها المدخل لفلسطين كل فلسطين وهو ما سار عليه

---

[5] خاض الشعب العربي، والشعب العربي الفلسطيني كافة أشكال المقاومة منذ اواخر القرن ال19 وفي القرن العشرين ضد الغزو الاستعماري والصهيوني ثم الغزو البريطاني المتواطيء بالتطبيق الفعلي لإقامة الكيان الصهيوني عبر الاعلام والكلمة والعمل السياسي، وعبرالعمل العسكري والنداءات والهبات والانتفاضات والثورات.

الراحل ياسر عرفات الذي كان مسكونًا بفلسطين كما قال عنه الإسرائيليون ذاتهم.
المرحلية التي فُهمت من تيارات اليسار حينها (كتلة الرفض)، ثم من اليمين الديني أوالاسلامويين لاحقًا بعد الصحوة من حالة السُبات أوالمَوات (ما يقرب 30 عامًا) والتأخر بالفعل أي الى العام 1988 فُهِمت المرحلية أنها استسلام كلي بمعنى التخلي عن الوطن لصالح شبه الدولة أوالدويلة، وهو ما أنكره بتاتًا ياسر عرفات الذي اعتبر "اتفاقية أوسلو" منعرجًا إجباريا أوكما كان أسماهُ المفكر صخر حبش (ممرًا إجباريًا) وصولًا لتحقيق الاستقلال الفلسطيني في حدود 1967 وهذه هي الأهداف المرحلية التي عبّر عنها خالد الحسن بالقاصرة إن لم يكن جذرية التناول النهائي هي الخطوة الصحيحة.
المرحلية ظلّت فكرة مُدانة وصِنو الاستسلام-وقبلها وأثنائها كان الحل السياسي برمته يعتبر استسلامًا- الى أن بدأت كافة التنظيمات الفلسطينية تتبناها ما حصل منذ وثيقة الأسرى عام 2006 ثم بصراحة ووضوح في

وثيقة "حماس"عام 2017 في الدوحة، ثم في اجتماع أمناء الفصائل مع الرئيس أبومازن في 2020/9/3 بين رام الله وبيروت.

الرؤية والاستراتيجية

المعضلة الثانية لدى فصائل السياسة هي معضلة الرؤية والهدف ومعضلة السِراطية (الاستراتيجية) ومعضلة بناء البرنامج الوطني الشامل[6] والمتفق عليه بما يمثل الاجماع الوطني المنشود.
إن كانت طبيعة المرحلة وفهمهما واضحًا لدى كافة الأطراف فإنه بالضرورة ينشأ عنها بناء استراتيجية عمل

---

[6] طرحت مختلف الفصائل البرنامج الوطني الشامل، وكذلك التجمعات السياسية بل وعدد من مراكز الدراسات المحترمة، وخاضت حركة "فتح" مع "حماس" حوارات طويلة-منذ ما قبل الانقلاب عام 2007م- أنتجت عديد الوثائق التي أقرتها لاحقًا مختلف الفصائل. ولكن لم يكن لها أثر بالتطبيق على الأرض. لذا فالفهم هو الأصل بمعنى التعامل برحابة مع المرجعيات الفكرية المختلفة لاستيعاب الآخر وصولًا لتحديد الرؤية، وعزلًا لقيم السلطوية والذاتية والحزبية القاتلة، إضافة لتدخلات الاقليم.

(طريق للعبور أو جسر للوصول) ورؤية تتوافق مع طبيعة الفهم، أكان مرحلة تحرر وطني أم مرحلة بناء على فرضية أن الفهم منطلق من هذين المنظورين الأوحدين كما أسلفنا.

ولا يفيد هنا فكرة عرض الخيارات وكأنها بدائل! وهي بالحقيقة نقض للفهم الأولي.

بمعنى لا يُفهم عقليًا التخلي عن رؤية تحقيق الاستقلال لدولة فلسطين القائمة بالحق الطبيعي والتاريخي (حسب اعلان الاستقلال 1988م) والقانوني (دخلت الأمم المتحدة عضوًا مراقبًا عام 2012م) بالقول كما هو حاصل اليوم-بعد انسداد الأفق السياسي- أن الخيارات أمامنا كثيرة؟ منها: إما بالعودة لتقسيم العام 1947 أو خيار الدولة المواطنية الواحدة في فلسطين كلّها، وكأننا نملك أن نختار تمامًا أي خيار! كما لو كنا في مجمع تجاري حافل بأصناف من البضائع تنتظر فقط أن نلتقطها؟ أوكأن القرار منوط بنا نحن فقط؟

لايستقيم التعامل مع الرؤى الشمولية ضمن فهم المرحلة. فرؤية الاستقلال مختلفة الاستراتيجية عن رؤية الدعوة للعودة لمرحلة العام 1947 وقرار التقسيم، أي بتبني شعار أو سراطية (استراتيجية) جديدة أو رؤية، قبل تحقيق الاستقلال لدولة فلسطين المحتلة بعد كل سنوات النضال هذه والاعترافات العالمية بالدولة التي فاقت الاعترافات بها، تلك بدولة الكيان الصهيوني؟

إذ كيف يستقيم عقليًا التخلي عن كل هذه التضحيات والنضالات ضمن رؤية انسداد الأفق السياسي دون العودة للمربع الأول أي طريقة فهم المرحلة. ودون الوعي بأن الأقل يشكلُ مدخلًا للأكثر أو الأصعب أوشبه المستحيل -في ظل تخلخل القوى- الى امكانية التحقق أي أن يكون تحقّق الاستقلال لدولة فلسطين (ما يسمى بحل الدولتين) مدخلًا لتحقيق متطلبات الفكر الجذري.

فلا بدائل هنا أو خيارات متاحة استراتيجيًا، وانما صحيح الفهم يأتي ضمن حالة تتالي نضالي قد تقع أو لا

تقع استنادًا على طبيعة السراطية (الاستراتيجية) المتبعة.
حالة التتالي في الرؤى والهدف يجب أن يكون مرحلة نحو دولة المواطنية لكل الوطن، نعم ولكن لا يمكن الاستغناء عن هذا الهدف المرحلي بدلالة شعورنا الحالي بالفشل، ونحن جيّشنا كل الدنيا باتجاهه وحتى كافة الفصائل التي كانت رافضة لهذا الحل!
وكأننا –حال التخلي عن هدف الاستقلال لدولة فلسطين بحدود حزيران-نسقط 50 عامًا من الدماء والجهود والنضال والإنجازات، ونبدأ من جديد! فليس هكذا تورد الإبل.
الأجدى عقليا وبالفهم السياسي والتحليل أن ننتهي أولًا من المرحلة الأسهل ولو نظريًا (استقلال دولة فلسطين بحدود 1967م)، والمتفق عليها عالميًا، لنبدأ المرحلة التالية الأصعب أي مرحلة السعي نحو الدولة الديمقراطية المدنية أوالدولة المواطنية الواحدة في فلسطين.

المقاومة الشعبية في الإطار الاستراتيجي

الوسيلة المشتقة من الاستراتيجية التي تضع الأهداف وترسم شكل الطريق قد تتخذ من بناء الدولة سُلّمًا لتخفيض مستوى التوتر العنفي، ولكنها لن تكون مُلامة حين يتم تصعيد المقاومة السلمية شعبيًا وسلطويًا وهو حقيقة الحاصل ولكن ليس بحده المؤثر والحاسم، بل بسياقة المنضبط والمحدود.

بمعنى آخر لوكانت الاستراتيجية الوطنية العامة لمجمل الفصائل المتخاصمة اليوم تنطلق من فكرة بناء أو التأسيس المستمر للدولة عبر ممر السلطة، فإن أسلوب المقاومة الشعبية السلمية يصبح قادرًا على تحقيق استراتيجية المواجهة وليس استراتيجية تعويق عمل السلطة (وفي مرحلة الدعوة لتدميرها كأولوية وأسبقية على مناهضة الاحتلال) أوالانتظار السلبي للمتغير الدولي بتقديم صكوك على بياض.

إن الحاصل اليوم بجناحي الدولة المرحلية المرتقبة أي في الضفة الغربية وقطاع غزة هو توظيف واستخدام للمقاومة الشعبية السلمية بشكل منفصل وغير منسّق

وبشكل محدود وغير متصل، بل وتجد التنظيمات المتحالفة هنا أوهناك سواء تحت مسميات المقاومة[7] "الحصرية" أوغيرها، تنسحب أوتقترب ليس ضمن الهدف الجامع وإنما ضمن سياق القوى الاقليمية المؤثرة والمصالح الحزبية الأنانية.

إن المقاومة حال اعتمادها الكلّي من كافة القوى الوطنية يفترض ضبط فهم المرحلة أولًا، ثم يفترض الاتفاق على الاستراتيجية وصولًا للوسيلة الأنجع.

وبفرضية أنها المقاومة الشعبية السلمية فهذا لا يتناسق مع الأعمال العنفية المتناثرة (هي نقيض شعار شركاء بالدم شركاء بالقرار)، ولا يتناسق مع أفكار التنسيق الأمني لدى الطرفين، ويفترض أيضًا أن تكون

[7] بعد أن سارت "حماس" في إثر حركة "فتح" سياسيًا، ونضاليًا، اتخذت من "خاتم" أو ختم الاسلام مدخلًا متمايزًا للاستقطاب، ثم اكتشفت خاتمًا آخر واستخدمته حصريًا وهو خاتم المقاومة بافتراض أنها بدأت من عندها! رغم أننا نعلم بالشعب الفلسطيني مقاومة أصيلة ما قبل "حماس" بعقود طويلة، وأيضًا منذ إنشاء فتح عام 1958 وانطلاقة الثورة الفلسطينية. لذا يقع التمايز المرجعي الاستقطابي ويتم احتكار الأختام!

المقاومة الشعبية (وسيلة) خيارًا عامًا متفق عليه عمليًا وليس نظريًا أو للمماحكات الحزبية.

تصبح العوامل الخمسة لتصعيد المقاومة الشعبية السلمية استراتيجية السلطة والفصائل معًا.

*بتوسيع النطاق الجغرافي للمقاومة الشعبية السلمية، بمعنى توسيع مساحات الاشتباك الميداني أولًا

*وتوسيع حجم المشاركة الشعبية ثانيًا، وتضم العمال والطلاب والمزارعين والموظفين الحكوميين وغير الحكوميين...الخ

*وجعلها منهج عمل يومي وليست موسمية أو ردة فعل للأفعال المستعمرين الغزاة الإرهابية فقط ثالثا.

*ثم وجب دعمها ماليًا وتسخير كل الطاقات لانجاحها إعلاميا وجماهيريا وسلطويًا وعالميًا، باعطائها الأولوية

*ليكون خامسًا والضابط لها هو خطة العمل المشتركة التي تشكل السور الحامي لجميع الفصائل حيث الارتباط برؤية بقاء السلطة واستثمارها بما لايؤثر عليها دوليًا ضمن فرضية أنها المدخل الصحيح للاستقلال وعبر هذه الاستراتيجية.

استراتيجية المقاومة الشعبية بمنطق العمل الثوري العنفي الممزوج مع العمل السلمي لا تستقيم في الوضع القائم حاليًا وطنيًا واقليميًا وعالميًا، ويجب النظر لها جديًا من منظور المصلحة الوطنية، وليس من منظور المحاور الاقليمية الداعمة ماليًا أو لمصالحها في مواجهة الغرب، أو إشعالًا للمناكفات الحزبية والاتهامات المتبادلة بالتنسيق الامني والخنوع والاستسلام مثلًا[8] ما هو حرتقات حزبية ليست وطنية بالحقيقة.

الجميع مقصّر بهذا الجانب والطرفان الشرعي وذاك المفتك للسلطة بالسلاح يمارسان التنسيق مع

---

[8] تنتهج القوى الاسلاموية منهج الفصل بين الرؤى او المشاريع مفترضة أنها صاحبة فهم التحرر الوطني، لا السلطة. فتقول بوضوح أن هناك مشروعين الاول مشروع مقاومة وبالطبع يتم الخلط بين المسلحة وتلك السلمية (والإيحاء قد يكون مقصودًا) مقابل المشروع التسووي أوالتصفوي السلمي في سياق شعارات تبقي المعضلة والازمة الوطنية قائمة ولا تحث على الاقتراب، وفي ذات الوقت والتنظير يُمارس أصحاب "مشروع المقاومة" في غزة كل أفعال السلطة حذو القذة بالقذة كما تقول العرب**!؟**

الإسرائيلي يوميًا، ويتم استخدام السلاح (سلاح المقاومة في غزة تحديدًا) ليس كأداة عمل استراتيجي ضمن رؤية مرحلة التحرر الوطني الجامعة، المتحررة من الحكومة أوالسلطة وإنما لخدمة مطالب "السلطة القائمة" فعليًا في قطاع غزة، أي حكم "حماس"، وهذا توظيف غير وطني بالحقيقة وإنما حزبي، وتقليص بشع للأهداف الوطنية وتقزيمها "معيشيًا" حيث لا تجد فرقًا بين التنسيقات المدنية والأمنية إلا بالشكل أو الشِدّة، أومن فوق الطاولة أو تحتها، لدى السلطة الشرعية ولدى سلطة "الحسم" والقهر العسكري في غزة.

إن تبني مشروع أو فهم المرحلة أنها مرحلة تحرر وطني بمنطق فتح الخيارات كلها التي من ضمنها المقاومة العسكرية لا تستقيم مع وجود السلطة/الحكومة التي عملها البناء كما أسلفنا وحالة الخلط بين الفهمين لم تنتج الا طفلًا مشوهًا.

حاول الراحل الكبير ياسر عرفات استثمار السنوات الخمس المحددة لاتفاق أوسلو (1994-1999م)

وصولًا للتفاوض على المرحلة النهائية، بتوطيد أركان السلطة كمقدمة للدولة دون أن يزيـح من ذهنه بتاتًا فكرة التحرر الوطني الثوري أو العنفي، فلما أغلقت أبواب المرحلة النهائية ل"أوسلو" نتيجة التعنت الصهيوني واشتراطاته المذلّة في (كامب ديفد 2 عام 2000م) كانت المقاومة وبشكليها هي النتيجة.
واستشهد أبوعمار عظيمًا ضاربًا أروع نماذج البطولة والفداء، (وكما قال وصدق: يريدونني أسيرًا أو طريدًا وأنا أقول شهيدًا شهيدًا شهيدًا)، ولكننا تعلمنا صعوبة التوفيق بين الفكرتين أوالفهمين فيما بعد.
اليوم هل تستطيع أو ترغب قيادة الفصائل الفلسطينية التي تفهم المرحلة ولو نظريًا بمنطق التحرر الوطني أن تتخلى عن سلطتها أوسلطتيها؟ وزُخرف الكرسي؟!
هي إن فعلت فلقد حلّت التناقض الرئيس للفهم! وبالتالي الاستراتيجية والوسيلة، ولكنها تكون قد وضعت نفسها تحت مقصلة السلطة القائمة الأخرى!
إلا إن كان هناك التوافق الوطني الشامل بالانتقال من مرحلة الاعتماد على السلطة (الاستقرار) الى مرحلة

التحرير الوطني (اللااستقرار) بكل مستلزماتها من تضحيات بشرية ومادية، ومقاومة بأشكالها المختلفة والتي قد تكون أول ضحاياها البناء الوطني المتمثل بهياكل الدولة القادمة الممثلة اليوم بالسلطة، وبالطبع بالالتفاف الدولي أيضًا.

التنظيم السياسي (الوعاء)

المعضلة الثالثة هي معضلة الوعاء الحامل للفهم، ثم الرؤية والاستراتيجية أي مشكلة الأطر التنظيمية (الأوعية الإدارية البشرية المنظمة للأهداف والوسائل والحوار الديمقراطي) وهي هنا ثلاثة رئيسة تتمثل بإطار منظمة التحرير الفلسطينية (م.ت.ف)، وإطار أجهزة الحكم الذاتي الفلسطيني أوما نسميها السلطة الوطنية الفلسطينية سواء في غزة أو تحت سلطة "حماس" الأمر الواقع في غزة-مع الفارق- الواقعتين تحت الاحتلال الإسرائيلي الكامل.

وثالثًا في المنظمات (الفصائل الفلسطينية) فهل الفصائل الفلسطينية اليوم، بسياساتها وقياداتها

وهياكلها الداخلية الحاملة، مؤهلة أو قادرة على حمل عبء الفهم والاستراتيجية على فرضية إقرارها؟... ودون ذلك في ظل الاحتراب اليوم خرط القتاد؟
إن إطار منظمة التحرير الفلسطينية رغم الهلهلة التي يعيشها، والشيخوخة والضعف والنسيان التي يعانيها منذ أقيمت سلطة الحكم الذاتي عام 1994م وابتلعتها إلا أنها مازالت عالميًا وتنظيميا (فصائليًا) تحظى باجماع على صلاحيتها كإطار معترف به دوليًا وعربيًا -في ظل الاعتراف بدولة فلسطين عالميًا دون تحقيق ذلك على الأرض- ومن هنا فإن التخلّي عن شرعيتها في ظل تزعزع وضع السلطة (أو السلطتين الشرعية وتلك المفتكة) يصبح انتحارًا سياسيا لأن حكومات الكيان الصهيوني تهدّد ليل نهار بإزالة السلطة الوطنية عن الوجود عدا عن "خيارات" سبق وطرحت -أو هدّد بها- من أقطاب بالسلطة الفلسطينية بأنها يجب أن تُزال (سنسلم المفتاح)، فماذا يتبقى للإطار الجامع إن كانت منظمة التحرير الفلسطينية خارج المعادلة والاحتضان؟ وما يتوجب عمله فعلًا لاصلاحها

ديمقراطيا ونضاليًا في ظل الفضل الكبير الذي حققته بالاعتراف العربي والعالمي وبناء الكيانية والحفاظ عليها حتى الآن.
دعني أقول أن المعضلة بين ثلاثية الفهم والإدراك المستند للمرجعية الفكرية الحاكمة أو الضابطة، والرؤية الاستراتيجية، والوعاء لا تتوزع على مساحة الفصائل بمعنى أن الفصيل "س" يفهمها كذا والفصيل "ص" يفهمها كذا، بل بالحقيقة هي معضلة عابرة للفصائل حيث تجد هذا التوزع بالفهم أوالحيرة أوالتفكر في تعريف المرحلة ثم بناء الاستراتيجية ومدى صلاحية الوعاء داخل كل تنظيم سياسي فلسطيني.
يمكننا أن نضيف هنا أيضًا مجموعة هامة ومتميزة وذات رأي يُحترم من تلك التجمعات أو القوى الفلسطينية الفاعلة التي ظهرت خارج إطار الفصائل المعروفة، وعبّرت عن نفسها في قوائم الانتخابات التي لم تجري عام 2021م.

أن امكانية التعاون أوفر حظًا حين تكاتف الأيدي المخلصة من كافة فصائل وتجمعات العمل الوطني[9] من امكانية الهدم ذاك المرتبط بالمصالح الشخصية ونزقها، وبتدخلات الاقليم البائسة والصراعات الدولية في المنطقة.

أما بالنقطة الثالثة من الأوعية وهي الفصائل الفلسطينية ومدى قدرتها كوعاء أوأوعيه على حمل الأمانة ومدى تحمل الأكتاف للفهم والرؤية الاستراتيجية، ففي ذلك الكلا م التالي لنا.

---

[9] فصائل أو منظمات العمل الوطني الفلسطيني هو التوصيف الأمثل لأن كل التنظيمات على إطلاقها تعمل في الإطار الفلسطيني مهما حملت من عباءات ملونة يمينًا ويسارًا وتلك التي كانت ترفض القومية أو الوطنية أو الديمقراطية تبنتها بعد طول تمنع وآخرها "حماس" و"الجهاد" التي أعلنت عن ذاتها بوضوح لا يقبل الشكل بوثيقة 2017 أنها حركة وطنية فلسطينية. لذلك يجب إسقاط مفهوم الحركة الوطنية والاسلامية فهذه ال "والاسلامية" تمثل عامل تمايز مريح للطرفين للأسف، ولكنه يقسم الشعب الفلسطيني بين مسلم وغير مسلم أوبين وطني وغير وطني..الخ.

الفصل الثاني:
أفول نجم التنظيم السياسي
وافتقاد الرؤية

من المهم الإشارة لضرورة تحشيد الأشخاص حول فكرة ما، ثم تنظيم الطليعيين فيها. فالجماهير التي تسير سائبة بلا هدف موحّد هي جماهير قابلة للجذب والاستقطاب بين شتى الفِكَر المتناثرة وذات الدفق العالي حاليًا لسبب انتشار وسائل التواصل الاجتماعي والتي كلّها مسيّسة ومهدّفة.

إن تُركت الجماهير دون هدفٍ سامٍ أو هدف قومي/وطني جامع (قضية) فإنها قد ترتاح في منطقة الابتعاد عن المشاكل وتتموضع حيث تلبي حاجاتها الحياتية والشخصية فقط دون الاضطلاع بدور ما في بناء أوتطوير الذات واكتساب المرجعية من جهة، وتفتقد بالابتعاد عن الهدف الجامع عوامل التماسك بل وعوامل البقاء للمجتمع أو القضية التي من المتوجب أن تبقى حيّة في القلب والعقل والروح.

وهنا يظهر دور الطليعة من المثقفين والمفكرين والدُعاة، والسياسيين الجادين والكادرات المخلصة.

حين تُمزّق المهابة

المشكلة الرئيسة هي حين يختلف الساسة أو"القادة" اختلافًا يمزّق النسيج الثقافي أوالفكري أوالاجتماعي أوالتنظيمي الداخلي في أطرهم... تلبية لمطامعهم الدنيئة، دون أن يدركوا -أو ربما بإرادة البعض- مدى تأثير ذلك على الناس –وقبلهم الأعضاء المنخرطين في منظماتهم- الذين رغم كل شيء يفترضون بهم قيادة الفكرة أو البلد أوالشعب.

إن افتقاد المهابة القيادية لسبب الانعزال عن الجماهير أو لسبب احتقارها أو لسبب التصارع والتزاحم على السلطة (فوق)، والنفوذ حتمًا سيؤدي بالجماهير لأن تستثمر بغيرهم، أو لأن تجد طريقًا آخر ولربما يكون سارًا أو سيئا لأننا لسنا وحدنا بالميدان أقصد أصحاب الفكرة الثورية أو الوطنية النضالية الجهادية فالكثير من الأعداء أوالخصوم الخارجيين-والطابور الخامس- قد يحلّون ويتموضعون بالضرورة في ظل الفراغ السياسي (نتيجة الصراع أوافتقاد الأولويات...) أو الفراغ الثقافي

الذي أوجدناه باقتتالنا أوتصارعنا على "مزبلة" النفوذ والقوة، أو السلطة أوالمكاسب الذاتية أو الفصائلية.
إن الانعزال عن الجماهير، أوالاستقواء بالنظام السياسي التنفيذي عليها أو استغلالها وتوظيفها لمآرب ذاتية يُعدّ قتلًا مبرمجًا للنهج الديمقراطي أوالشوروي، وسبب رئيس لعملية الانفكاك بين القيادة وبين الجماهير التي إن افتقدت القدوة صنعت غيرها، أو لربما تاهت أوأوجدتها في سياقات أخرى.

طلّة المشاهير

العديد من الناس ممن ابتعدوا عن الهدف الجامع للشعب أو الأمة وجدوا مرتعًا خصبًا في مساحات أقل ما يمكن أن يقال عنها أنها سلبية من مثل الانكباب على اللعب قاتل الوقت والعقل، أو الاخبار الملوثة، أوالشهوات، أو الانجرار وراء الاشاعات والدعايات المغرضة، أوترقب طلّة المشاهير الفَسَقة منهم والناجحين...الخ.

ولن تستطيع أن تقيم الحُجّة على كل الجماهير ما دمت أنت في مركز القيادة السياسية أو المجتمعية أوالدينية او الثقافية مقصرٌ بواجبك ...لا تلتفت لاحتياجات هذه الجماهير أو لا تبذل جهدًا في فهم احتياجاتها وتطلعاتها وبالتالي جذبها. أو تنعزل بأفكارك وسلوكياتك عنها.

نجد المثال الحيّ دومًا بالكبار الكبار في حضارتنا وفي تاريخنا العربي الاسلامي المسيحي المشرقي الحي والمتسامح، والذي هو حقيقة أمسنا ويومنا وغدًا، بتميزنا (وليس انسحاقنا) الحضاري، المفترض أن يكون مبتعدًا عن العقلية الاستهلاكية الذليلة لكل منتجات الغرب الاستعماري العقلية، والاستئثاري حتى في مجاله الفكري-الثقافي النفسي.

لقد ضربت مختلف الشخصيات الريادية والقيادية في أمتنا المتفردة والمتميزة حضاريًا-والحضارات تتميز وتتقاطع وتتلاقح- النماذج والأمثلة بالوعي والسبق وفهم المتغيرات وامتلاك الرؤية المتقدمة ما جعل الجماهير تتلقى أفكارهم بالاحترام والمحبة والتقديس

أحيانًا، الى أن زلّت قدم التابعين عن المسار فتخرج الجماهير لتعلن رفضها للانحراف والزلل.
ولربما تنجح عديد الدفقات المعلواتصالية بكسب هذه الجماهير حين تنحرف القيادة أوحين تنجرف باتجاه صراعاتها الداخلية ووحشية النزق المكون لشخصياتها الكئيبة أوالكالحة.
لابد من حُسن النظر والتأمل في أنفسنا أولًا (وفي أنفسكم ۚ أفلا تبصرون)، وهنا المقصود والخطاب للقيادات في المساحات المختلفة التي متى ما قصّرت أو أهملت أوتصارعت تصارع الأكباش فإن الناس تصبح في غنى عنها أو تترقب الكبش الفائز!؟ ما يُردي القضية، أويجعلها حبيسة الأدراج الخلفية في عقول الناس ولو مؤقتًا.

العُري التنظيمي وشبّاك التذاكر

إن المنظمة أو التنظيم السياسي (وهو الوعاء الجامع) ذو القضية الذي يتصارع أفراده على القمة في عكس للهرم التنظيمي هو تنظيم فاشل، بل ويحفر قبره بيديه لاسيما وأن المفترض بالقضية أن تكون هي العامل الجامع وليس الوصول لشباك التذاكر (المؤتمرالانتخابي) الموصل لخشبة المسرح والمصداح (الميكروفون) (أي الهيئة القيادية)!

التنظيم الذي يكون جلّ تفكير أفراده هو الانخراط في عقلية المؤامرة والتنافس الحِدّي أوالكراهية المتبادلة، والصراع الفسطاطي الذي لا يستبين الألوان هو منظمة (جماعة أوتنظيم...) ذو أطر مهلهلة ومتابعة مفقودة وخروق كثيرة في الثوب فمن تغطى به فهو عريان.

نرى العُري اليوم في مختلف التنظيمات في منطقتنا العربية سواء اليسارية أو الوسطية أوالاسلاموية كما يحدث من انشقاقات عميقة فيها (أنظر كمثال فاقع نموذج الاخوان المسلمين وحربهم الضروس بين جبهة

اسطنبول بقيادة د.محمود حسين، وجبهة لندن بقيادة د.ابراهيم منير، وتمرد أجنحة في جبهة مصر).
وكما يحصل في تنظيمات السودان، وسوريا والعراق، وكذلك الأمر داخل التنظيمات والفصائل الفلسطينية ما لايخفى على أحد.
إن التنظيم المخروق الثوب، أوالمرتبك، أوالتنظيم العاري هو التنظيم المتصارع بتصعيد صراعه للمقدمة على حساب التناقض الرئيس فيصبح آفلًا أو متآكلًا في مساحات عمله، حيث لا همّ ولا عمل الا التكتيل بالمعنى السلبي مع هذا أو ذاك أو إزاحة هذا أو ذاك وليس الهمّ الجامع المرتبط بالقضية، فيتآكل سياسيًا وثقافيًا وتصبح الديمقراطية خِرقة يتم التمسح بها لمجرد ذر الرماد في العيون[10].

---

[10] هذا القول مجازي، ويقال بتعبيرات مختلفة؛ لأنه كناية عن التمويه والمغالطة وإلباس الحق بالباطل. يقال: ذَرَّ فلان الرماد في عين فلان، إذا خَدَعَه وضَلَّلَه وحَجَبَ الحقيقة عنه، فهو تعبير اصطلاحي؛ إذ هو مثل أوجار مجرى المثل، وشاع استعماله بهذا المعنى المجازي.

افتقاد الهدف الكبير والتكدّس

التنظيم الآفل الى ذلك هو التنظيم الذي يتكدّس فيه الأعضاء عند القمة، او يسعون للتكدس هذا (أي قمة هرم القيادة أوالسلطة التنظيمية ضمن الهرم التنظيمي) لا يدرون من أيامهم الا أن يَصِلوا لهذه القمة لتحقيق المكاسب! وكان القضية تفترض المكاسب لا التضحيات؟

والى المكاسب المادية والوظيفية والشخصية يضاف معاني الوجاهة أو المكانة أكانت حقيقية أوخلّبية فارغة، فإنها تمثل مسعي حقيق على كل ساعي لها أن يخوض صراعه كما يظن...

لقد افتُقد الهدف الكبير والجامع فثارت الأحقاد أوالمنافسات الإقصائية والصراعات الحدّية، وتكاثرت الشجون والآلام، وتبارز الكارهون لأنفسهم أو الآخرين. ولم يعد المقياس أوالبوصلة عند هؤلاء المتصارعين هو مقدار العطاء أو العمل كما كان لنا من استفادة عظيمة

من الدكتور العلامة العظيم على نايفة[11] الذي قال في مقابلة له أن المقياس يجب أن يكون هو حجم الانتاج وليس الكلام أو عدد السنوات.

هي نقاطٌ خمس

دعنا نقول بوضوح ومن خلال نقاط خمسة التالي

أولا: التنظيم (المنظمة السياسية أساسًا) لا تدوم بلا عمل يومي ميداني متواصل ذو ديمومة، يخدم الهدف والرسالة والرؤية والاستراتيجية كما كان نهج الأوائل في إطارنا الفلسطيني أمثال ياسر عرفات وخليل الوزير وجورج حبش وخالد الحسن وفتحي الشقاقي وصلاح خلف وأحمد ياسين، وقبلهم عبدالقادر الحسيني وعزالدين القسام وأمثالهم من الكبار.

---

[11] البرفسور علي نايفة رحمه الله عالم علامة يعد من القلة الموسومة برفسور مميز أي مثل انشتاين وهو بمقابلة ثرية له ذكر عوامل النجاح للموسسة. وكان مما ذكر الفرق بين التقدير ونواله في المؤسسة المحترمة فأوضح من التجربة أن العمل والانتاجية كانت المقياس والإتيان بجديد مفيد.

ثانيا: لا تنظيم يدوم بلا برنامج سياسي أو نظام (قانون) داخلي، (مرجعية) فكيف بالله عليكم يواجه مثل هذا التنظيم أنصاره؟ أو حتى أعداءه وهو بلا ماهيّة والماهية تنطلق من وجود السّراطية (الاستراتيجية) الواضحة والبرنامج السياسي الواضح، والقيم الواضحة، وكذلك الأمر من خلال وجود النظام الداخلي (القانون أوالدستور) الذي يؤمّن العلاقة الواضحة بين مختلف المسؤوليات، والمسؤولين والأعضاء وطبيعة التقاطعات والمهمات والواجبات الملقاة على عاتقهم لخدمة الهدف والاستراتيجية والبرنامج.

هل تظن أن تنظيم سياسي يسير بلا رجلين؟ وهما هاتان الرجلان أي البرنامج السياسي والنظام الداخلي؟

وإن رأيته يسير فهو أعرج أو يتكيء على تاريخه فقط أو على عظمة مؤسّسيه دون أمل له بمستقبل ناهض.

ثالثا: لاتنظيم بلا رؤية مستقبلية يستطيع بها، إذ كان عليه أن يرى المتغيرات ويستبق ردّة الأفعال بالفعل المحقق لهدف القضية كما كان يقول الكبير هاني الحسن بالتحليل السياسي حيث أن ستي (جدتي)

تستطيع القول أنها تحلّل سياسة؟ ولكن ما الفرق بينها وبين القائد إن الفرق هو بالوعي بالمستجدات والمتغيرات وامتلاك الرؤية كما قال.

ونحن تدهمنا المتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والفكرية، والتقانية عبر فيوض الاتصالات المهدفة من وسائل التواصل ومنها التواصل الاجتماعي وعبر الشابكة (انترنت) والتطبيقات، ولا ندري كيف نتعامل معها أونصدها أو نُطوّعها أونستثمرها..

رابعاً: عندما تتمحور حياة معظم أعضاء المنظمة السياسية (التنظيم) حول المكاسب الذاتية أو الخاصة (نتيجة المناخ القيادي[12] الموبوء) باعتبارها المدخل الرئيس لمعاشهم وحياتهم ومكاسبهم التي تتفوق

---

12 إن المناخ القيادي هو الجو النفسي العصبي الذي ينشره القائد حوله أو في مكان عمله وتأثيره، وفي نطاق المرؤوسين أو"الأتباع" أو الكوادر أو الأشخاص تحت قيادته، ويجعل منه أساس الالتفاف حول آرائه أوفكرة أوسياساته أو عمله ما يتفاعل مع حاجات وأفكار جمهوره.

عندهم على الفعل الوطني أو الخادم للقضية المركزية فإننا نشهد حتمًا أفول الشمس أو النجم لهذا التنظيم. فالأعضاء لا يدركون دورة التاريخ وقيام ثم انهزام التنظيمات والأفكار والدول.

أما **خامسًا:** فإن نمو الشخصانية أوالأنا العليا أو عقلية البطريركية دون المؤسسية، وتفشي ظاهرة الاستبداد كلٌّ في موقعه، وعليه التفرد والتنعم بالوضع الذاتي المستقر خوفًا من الانتقال للوضع الجديد (أي بعيدًا عما يسمى منطقة الراحة حيث تجد خارجها ضرورة التعلم والإبداع[13]) يجعل التنظيم تقليديًا محافظًا (هل

---

[13] منطقة الراحة أوالأمان هي منطقة وهمية، تستخدم للدلالة على حالة نفسية يعيشها الفرد، بحيث يشعر بالسعادة و براحة كبيرة وطمأنينة غامرة ورضى كبير عن نفسه، معلوماته، مهاراته، قراراته، وحتى عن الأشخاص الذين يتعامل معهم والمكان الذي يتواجد فيه، حيث أن جميعها ثابتة لايوجد فيها أي جديد أو متغير، وهذا من شأنه سلب التحدي من الحياة للفرد، تصبح المعادلة بسيطة وواضحة: تحديات أقل، مهارات أقل... وفي المقابل، تحديات أكثر، مهارات أكثر وأقوى خارج منطقة الامان أي في منطقة التعلم ومنطقة النمو التي تعني لهؤلاء المرتاحين على مقاعدهم الوثيرة الذعر من التغيير ورفضه.

نقول رجعيًا أم منافقًا؟!) وقد يتحول لتنظيم ثانوي في حياة الناس، أو يأفل نجمه كليًا إن لم يلبس من الأثواب أزهاها عقلًا ومنهجًا واقترابًا من الناس.

التزاحم على القمة

ولنكرر السؤال لماذا التزاحم أوالتكدّس على القمة؟ (قمة الهرم التنظيمي بالفصيل، أو السياسي بالبلد) في الفصائل عامة ومنها في حالتنا الفلسطينية بمعنى الاهتمام بأن يكون الشخص في سدّة الإدارة أوالمسؤولية أو ما يسمونها في الفصائل السياسية (هيئة القيادة)[14] أكانت مكتبًا سياسيًا أو أمانة عامة أوهيئة إدارية أو لجنة مركزية أو أي مسمى آخر.؟

---

[14] ليس بالضرورة أن تكون المسميّات السياسية لدى الفصائل منطبقة على التعريف العلمي للمصطلح فهناك فصائل تسمي نفسها حركة وهي حزب، وهناك من تسمي نفسها جبهة وهي حركة...الخ، وكذلك الأمر بمصطلح "القائد" الذي نراه: الشخص المسؤول والنموذج القادرعلى اخراج أفضل ما لدى الأشخاص ضمن/تحت مسؤليته بحدهم الأعلى واستثمارهم وتشغيلهم بكفاءة.

بكل وضوح لأن العضو في التنظيم السياسي-خاصة بالمناخ القيادي الموبوء- أصبح بلا قيمة.
لو كان للعضو في التنظيم السياسي أهمية وقيمة ودور واضح لكان النظام (القانون الداخلي) هو الحكم، ولكانت الحياة التنظيمية الداخلية قادرة على التعاطي مع مختلف الاختلافات والاحتياجات والتدافعات بحرص واهتمام شديد، ومتابعة حثيثة.
حقيقة التنظيمات السياسية اليوم أنها بدلاً من أن تعتمد على العضو الفاهم الواعي المناضل العامل أصبحت تعتمد على الكمّ. وكان الهدف الرئيس هو التجييش أوالتحشيد وليس التنظيم. والفرق بين المفهومين كبير فالأول يهتم بالكم والعدد مهما كان وكأننا في سباق انتخابي فقط، وليس أنه أمامنا قضية وطنية عادلة وسامية، والمفهوم الثاني أي "التنظيم" يعني تنظيم الجهود وإدماج القدرات وتأهيل الأعضاء ما يعني جهد وعمل ذو ديمومة ومثابرة لا تهدأ.

لذا فهيئة القيادة أي كان مسماها الآخر لا تعني أن كل من فيها هم فعليًا وعلميًا قادة.

بكل بساطة حين تضعف "القيادة" فإنها تخاف من القاعدة. لذا تهتم مثل هذه القيادة بتلك العناصر خاوية الفكر [15]، أو المتزلفة، والضعيفة أو تلك غير المؤهلة التي تبجّل من هم فوقها خوفًا وطمعًا وليس قناعة وإيمانًا وصدقًا.
العضو أوالكادر المنظّم الفاهم، حامل القيم، والعامل هو كادر يناقش، ويرفع اصبع الاستفسار والاستيضاح ونقطة النظام أمام أي تجاوز للنظام يعني بالعامية "وجع رأس"! لذا فالأبسط والأكثر راحة (للقائد المستريح على مقعده الوثير) هو الاعتماد على خاوي الرؤوس!

---

[15] هي ذات فكرة الشخص الإمعة (الذي يسيّره الناس شمالًا ويمينًا) التي نهى عنها رسول الخلق، وفكرة الهمج الرعاع التي أشار لها علي بن أبي طالب مقابل العالم والمتعلم على نهج النجاة، وهي فكرة العاقل وغير العاقل عند الغزالي في تمييزه بين المؤمن ولكن الجاهل، وذاك غير المؤمن لكن العاقل الذي يرده عقله. وفكرة أن المستبد يستعين بالضعفاء المخلصين لشخصة ويستبعد العقلاء والاكفياء لأنهم غير موالين.

الكسول والمخلص والانتهازي

امتلأت هياكل التنظيمات السياسية بحشود كسولة (هي أقرب لجماهير غير منظّمة عن أن تكون أعضاء يتمتعون بواجبات وحقوق العضوية) غير عاملة (لا تقوم بعمل إلا إن احتسبت سطرًا في منشور على وسائل التواصل الاجتماعي أو صورة ينشرها عملًا!؟) أوحشود غير فاهمة أو غير منظمة أو مرتبكة، أوغير مثقفة ولو بحد الثقافة الأدني فأصبحت بالحقيقة مجرد جُموع ترتبط بالأشخاص أو المال أوالرغبة بالصعود، أوالحالة التوظيفية له.

وإن وجد بين الأعضاء الكثير من المخلصين الذين يتم استغلالهم لانبهارهم بالقيادة أولحقيقة إقبالهم على العمل الوطني دون مطالب ذات طابع مرتبط بتغييرالأشخاص (القيادة أساسًا) أو بتغيير الأنظمة والمنهج.

كما تجد ذاك الانتهازي الذي يعتبر هذا المناخ[16] الزئبقي المائع مناخه المناسب قطعًا.

---

[16] أنظر فكرة "المناخ القيادي" المؤثر، أو ما تم التعارف عليه سابقًا ضمن فكرة "كما تكونوا يولى عليكم" أونقيضها "الناس على دين ملوكهم" حيث يقول أبو منصور الثعالبي: "كان الأغلب على عبد الملك بن مروان حب الشعر، فكان الناس في أيامه يتناشدون الأشعار ويتدارسون أخبار الشعراء، وكان الأغلب على الوليد بن عبد الملك حب البناء واتخاذ المصانع وكان الناس في أيامه يخوضون في رصف الأبنية، ويحرصون على التشييد والتأسيس، وكان الأغلب على سليمان بن عبد الملك حب الطعام والنساء، فكان الناس في أيامه يصفون ألوان الأطعمة ويذكرون أطايبها، ويستكثرون من الحرص على أحاديث النساء، ويتساءلون عن تزوج الحرائر، والاستمتاع بالسراري، ويتجاوزون في الباه، وكان الأغلب على عمر بن عبد العزيز حب الصلاة والصوم وكان الناس في أيامه يتلاقون، فيقول الرجل لأخيه: ما وردك الليلة؟ وكم تحفظ من القرآن؟ وبكم تختمه؟ وكم صليت البارحة؟ وهل أنت صائم؟ وكان يزيد بن عبد الملك يحب الخيل وكان الناس يتنافسون في اختيارها، ويتقربون إليها، باتخاذ الأجود والأحسن منها، وكان هشام بن عبدالملك يحب الثياب ونفائس اللباس وكان الناس في أيامه يتبارون في التجارة فيها، ويتواصفون أنواعها، وكان الوليد بن يزيد صاحب لهوٍ وشراب وسماع، وكان الناس

بناء النظام (القانون/اللائحة)

المشكلة في الأوعية أي التنظيمات السياسية الفلسطينية باعتقادي هو في طريقة بناء النظام المفضي للعمل.

بناء النظام الداخلي (القانون أواللوائح، أو الدستور) من المفترض أن يؤدي إلى تفصيل طبيعة العلاقات بين المستويات الإدارية-التنظيمية المختلفة وتحديد الصلاحيات وبالتالي توضيح حقيقة الحقوق والواجبات التي هي مقياس الترقي ومقياس التقدم الداخلي ما هو مفقود بحقيقة النظر.

أنظر كمثال لترى حركة التحرير الوطني الفلسطيني-فتح عقدت 60 اجتماعًا على مدار 5 سنوات من 2016-2021 لاقرار قانون أو نظام داخلي وفق

في أيامه يتشاغلون في الملاهي ويترخصون في النبيذ ويقولون بالسماع، وقد صدق من قال: إن الناس على دين ملوكهم والسلطان سوق يجلب إليها ما ينفق فيها".

معطيات المؤتمرالسابع في رام الله نهاية 2016م ولم تنجح بتاتًا!؟
ما يعني أن العمل مستمر بالنظام (الدستور أو القانون) القديم، وما يعني فشلًا فاقعًا وارتبط الفشل بكل وضوح بحقيقة المصالح واختلاف التجارب للّجان أو اللجنة المعنية بتعديل النظام، وكانت عقدة العقد حين الحديث عن مهام "القيادة" أي اللجنة المركزية وأدوراها، ولا يغيب عن الذهن أن "فتح" تسير بلا برنامج سياسي أيضًا! إذ لم يصدر عنها منذ مؤتمرها الأخير السابع.
فكيف لتنظيم مثل هذا أن يكون ذو أفق أو قدرة على تجاوز المحن، أولأن يعود مشرقًا واثقًا بهكذا سلوك وهكذا "قيادات"؟!
"كما تكونوا يولى عليكم" أو "الناس على دين ملوكهم" قد تكون مقولات لها نصيب في الأطر التنظيمية والسياسية، ولكن مهمة التنظيم المناضل هي الإدماج

والتربية والتثقيف والتعبئة ثم الدفع للعمل ثم العمل ثم العمل الناجز[17].

الإدماج والتربية والتثقيف هي المهمة النوعية التي إن تم إهمالها لصالح التجييش الكمي للأعضاء لا نستطيع أن نقترب من صورة ابن التنظيم المِثال أو القدوة أوالنموذج، لذا فالمشكلة بالنظام (القانون) الذي يجب أن يركّز على منطق العضوية وأهمية العضو ودوره في أي من المستويات التنظيمية-القاعدية والقيادية في داخل الأطر.

---

17 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنّ اللَّهَ تَعَالى يُحِبّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً أَنْ يُتْقِنَهُ.

التنظيم المرتبك والتنظيم الواثق

دعني هنا أناقش ذات الأمر بشكل آخر إذ أنه في التنظيم السياسي نجد مساحة واسعة من المظاهر المرتبطة بالمنظمة، أو الدالة على التنظيم المرتبك، أوالمخالف له ما نطلق عليه التنظيم الواثق.

الفروقات بين شكلي التنظيم هذين هو في الانجاز أوالانتاجية كما أسلفنا، وفي المبادرة، في العمل والعطاء، في تحقيق الأهداف القريبة والبعيدة... لأن التنظيم الثوري والسياسي وإن كان يحيا بالإيمان والأفكار إلا أن رؤية هذه الأفكار تمشي على الأرض تكون من خلال الممارسة للأعضاء، من خلال القدوة، ومن خلال تحقيق الانتاجية وعبرالعمل الدؤوب، والالتزام والمثابرة، هو حقيقة المقارنة بين الشكلين.

في إطار الثورة الفلسطينية وفي حركة التحرير الوطني الفلسطيني- فتح كان دومًا ما يتفوق أصحاب المبادرات والعمل والعطاء على أصحاب الفكر والتخطيط والعقلنة، لكنه في الإطار الصحيح وجب اقترانهما معًا، بتوازن، لنتمكن من تحقيق العقلنة للمسار، دون

مغامرات غير محسوبة أو مقامرات، ولنتمكن من التحفيز والتعبئة والتربية من جهة، ولدعم الابداعات ومبادرات العمل من جهة أخرى.
إذا كنا أمام تنظيم واثق فإن المسار يختلف كليًا عن التوصيف القائم للتنظيم الهلامي أو المرتبك أو ذو الشمس الآفلة، لأن التنظيم المرتبك قد يكون مآله الضمور أو الانهيار وفيه قد نجد: هياكل تنظيمية مهلهلة تهمل العضو والواجبات، ونجد أعضاء غير جدّيين لامبالين (على دين ملوكهم)، ونجد اتصالات مقطوعة أوباهتة بين الجميع، ونجد قيادة تهتم فقط بالتجييش أوالتحشيد بعيدًا عن التنظيم بالمعنى التربوي التعبوي التثقيفي والتشغيلي.
ومن هنا نرى المقابل المخالف لما سبق هو التأكيد على أهمية عمل الفريق والجماعة كأداء وانتاج يحقق الهدف ويعطي معنى التنظيم الفعّال أو الواثق
*لأنه بالعمل الجماعي المنظّم يتم تكريس العمل والالتزام بخطواته والثقة بما يقوم به.

*ولأن العمل كمحرك رئيس للفكرة يختصر بالعمل الجماعي المشترك الوقت ويوزع الجهد ضمن الالتزام بالمقياس (المسطرة) عبر المتابعة.
*ويشعر الجميع بالتقدير، فلكل دوره، و بالزهو أوالمشاركة أوالانتصار مهما كان حجم النصر صغيرًا لكنه بتراكمه يؤدي حتماً للانتصار الكبير.
في العمل الجماعي داخل التنظيم النضالي أو بالعمل بروح الفريق يصبح التنظيم الحامل للفكرة مجسّدًا لها، ويبرز متألقًا واثقًا عبر مجمل أدائه، وحُسن تواصل قيادته مع أعضائه، وتصبح المعنويات عالية، وتشكل العلاقات الصحية الأفقية والعمودية حائط مانع للتسرب أو الارتباك أو الانهيار.

العضو أولًا وليس القائد و6 أمور فقط

لنقل ببساطة أن المطلوب تكريسه في الحياة التنظيمية المتواصلة في داخل أي تنظيم أوحزب وطني نضالي ثوري، أو داخل أي وعاء ليصلح لحل المعضلات وتحقيق الرؤية والاستراتيجية، أمور ستة ليست جديدة على أهل التنظيم، ولكنها مفقودة أومهملة وهي تلك المتعلقة بواجبات العضوالتي تمكنه من بلورة إيمانه وتحقيق التزامه والشعور بقيمته ودوره ضمن العمل الجماعي المثابر المحقق للانتاجية والانجازات، بعيدًا عن الرغبات التجييشية[18] أوبالتزاحم فقط ب"القمة" فلكلّ داخل الجماعة (المفترض) دوره المحترم وهي:

1-يجب أن يكون لكل عضو في التنظيم السياسي (أوالنقابي أو في المؤسسة...) مهمة أو تكليف أوعمل

---

[18] فكرة التجييش أو التحشيد داخل المنظمة ليست جديدة بل كانت في سياق عشرات السنين وكان تحت مسمى الاستزلام او التبعية لأبي فلان او أبي فلان، وكانت أقرب للتكتيل أو التمحور منها للتجييش العام لكل الأعضاء.

(واجب) محدد صغير أم كبير، مرتبط بهدف أوغايات المنظمة العامة والشاملة، ويعطيه معنى الدور المقدر داخل المنظمة، ويشعره بالاحترام والتقدير.

2-لا بديل عن الاجتماع النظامي الدوري حيث طرح الوضع الداخلي، والتقابل والحوار وحيث التثقيف الداخلي والنقد والنقد الذاتي، وطرح البرامج أو الخطط ومتابعة تنفيذها.

3-لا مناص من تقديم التقرير الدوري من كل عضو عن نشاطه أومهمته، فلا قيادة فاعلة بلا متابعة، ولا خطة موضوعة تنفذ بلا متابعة، ولا متابعة بلا اجتماع أوبلا تقرير، ولامتابعة بلا زمن محدد، ولا خطة تنفذ بمتابعة دون مقياس (مسطرة)، ولاقدرة على التحليل والتقييم والمحاسبة والنقد بلا متابعة دورية.

4- مسؤولية العضو واضحة بالهيكل صعودًا وهبوطًا بمعنى أنه يجب أن يعرف مَن المسؤول المباشر عنه، وهو مسؤول عمّن (إن كان يرأس لجنة أو مهمة محددة لفريق...) أو عمّاذا، أي ما هو العمل أو النشاط المهدف

(المرتبط بهدف المهمة أو هدف المنظمة العام) المطلوب منه بوضوح.
5-منظمة (تنظيم، جماعة، نقابة...) بلا اتصالات داخلية وخارجية وعلاقات واضحة هو تنظيم هلامي زئبقي[19] لذا وجب أن تكون العلاقات الداخلية (داخل المنظمة ضمن الحياة الداخلية) والخارجية مع الجماهير واضحة ومتواصلة عبر مختلف الفعاليات الوطنية والجماهيرية بمعنى تحول العضو لبؤرة أو مركز استقطاب للجماهير وكيف تكون القدوة إذن إن لم تكن ذات جاذبية تتطلع لها العيون وتشرئب لها الأعناق؟
6-التنظيم الواثق يستجيب للمتغيرات السياسية، والثقافية والاقتصادية.
ويستجيب للمتغيرات التقانية (التكنولوجية)، وعليه فهو قادر على استخدام كل الوسائل (بما فيها اليوم الالكترونية وعلى الشابكة "انترنت"...) للوصول لأعضائه جميعا في ظل يُسر وسائل التواصل الاجتماعي

---

[19] كان الرأي لأحد القيادات في تنظيم مهم أن تنظيمة هلامي وزئبقي، وقالها بروح التقبل والإقرار، وليس بروح النقد والتغيير!

وقدرتها على النفاذ الى غرفة نوم كل فرد، ما يلقي على القيادة التنظيمية والسياسية عبء تحقيق الجذب والنشر والوصول بأحدث وأقرب الطرق للوصول الى قلوب الناس، وقبلهم الأعضاء الطليعيين و كادر التنظيم ما يقنعه ويُشبعه فيلتفت لما تقدّمه القيادة أوالتنظيم وأدبياته بأحدث وأدق وأسرع وأجمل وأنجح الوسائل.

إن الحاجة للانسان العادي والعضو العادي (بعيدًا عن المطامع الشخصية التي تبرز وتتفاقم لسبب المناخ القيادي أو أي سبب آخر) هي تحقيق الاشباع[20]، وهما

[20] الاشباع قد يكون مادي وقد يكون نفسي أوروحاني وفي نطاق الاشباع النفسي دعنا نقول بحسب علماء النفس أنه يتضمن: الشعوربالأمن النفسي الداخلي والذاتي حيث يظهرفي شعور الفرد بتقبل الآخرين له وحبهم إياه، وأنهم يعاملونه بدفء ومودة وتقدير، وشعوره بالانتماء إلى الجماعة، وأن له دوراً فيها، وإحساسه بالسلامة وندرة شعوره بالخطر أو التهديد أو القلق. إن الشعور بالأمن الذاتي النفسي يعني أن البيئة الاجتماعية/التنظيمية بيئة صديقة، كما يحقق شعور الفرد بأن الآخرين يقبلونه داخل الجماعة/المنظمة/الحزب. "إن الفرد الذي يشعر بالأمن والإشباع في بيئته الاجتماعية في الأسرة، يميل إلى أن يُعمم هذا الشعور؛

في الإطار النضالي اشباع وطني إيماني وآخر هو اشباع شخصي ذاتي.
حين يقع الأول في منطقة تنفيذ الأعمال المطلوبة لتحقيق غابات التنظيم، فإن الذاتي يسعى (أنظر هرم ماسلو للحاجات الانسانية كمثال مُفسّر[21]) لتحقيق

فيرى في الناس الخير والحب، ويتعاون معهم. أما الفرد غير الآمن نتيجة لعدم إشباع حاجاته النفسية، فيكون في خوف دائم، ويعيش في حالة من عدم الرضى، ويرى أن البيئة تمثل تهديداً خطيراً لذاته.

[21] كان هرمًا للحاجات الخماسية ثم تطور منه أي من "ابراهام ماسلو" ذاته ليصبح هرمًا ثُمانيا وليس فقط خماسيا يتضمن التالي:
الاحتياجات البيولوجية والفسيولوجية - الهواء، الطعام، الشراب، المأوى، الدفء ، المعاشرة ، النوم ، إلخ.
2-احتياجات السلامة - الحماية من العناصر ، والأمن، والنظام، والقانون، والاستقرار، والتحرر من الخوف.
3-احتياجات الحب والانتماء - الصداقة، والألفة، والثقة، والقبول، وتلقي وإعطاء المودة والمحبة. الانتماء، أن تكون جزءًا من مجموعة (عائلة ، أصدقاء ، عمل).
4- تقدير الاحتياجات - التي صنفها ماسلو إلى فئتين: (1) احترام الذات (الكرامة والإنجاز والإتقان والاستقلالية) و (2) الحاجة

الاشباع من خلال الدور المناط به والذي يؤدي الى الشعور بالتقدير والاحترام والشعور بأن له مكانة ودور، وحضور واعتراف وتفهم وتقدير لشخصه وعمله، ومحبة .... بغض النظر عن المستوى الموجود فيه ضمن هيكل النظام الداخلي للمنظمة أوالجماعة.

إلى أن يتم قبولها وتقديرها من قبل الآخرين (على سبيل المثال، المكانة والهيبة).

5- الاحتياجات المعرفية - المعرفة والفهم والفضول والاستكشاف والحاجة إلى المعنى والقدرة على التنبؤ.

6-الاحتياجات الجمالية - التقدير والبحث عن الجمال والتوازن والشكل، إلخ.

7-حتياجات تحقيق الذات - تحقيق الإمكانات الشخصية ، وتحقيق الذات ، والسعي إلى النمو الشخصي وتجارب الذروة. الرغبة في "أن نصبح كل شيء يستطيع المرء أن يصير" (ماسلو،1987 ص 64).

8. احتياجات التعالي (السمو) - يتم تحفيز الشخص من خلال قيم تتجاوز الذات الشخصية (على سبيل المثال ، التجارب الصوفية وتجارب معينة مع الطبيعة ، والتجارب الجمالية ، والتجارب الحميمة ، وخدمة الآخرين ، والسعي وراء العلم ، والإيمان الديني، وما إلى ذلك).

خاتمة:

حاولنا في هذه الورقة القصيرة التعرض لمعضلة الفهم بكيفية الوعي وتفسير حقيقة المرحلة التي تمر بها الثورة الفلسطينية والفصائل والتجمعات الوطنية الجديدة عامة، وما ينشأ عن طبيعة الفهم المشترك إن وجد المشترك -رغم أنه لكل فصيل المستند للمرجعيات المختلفة- من رؤية تنبثق عنها استراتيجية تمثل طريقًا للوصول لتحقيق الفهم بين التحرر الوطني أوبناء الدولة والاستقرار.

وفي المعضلة التالية على معضلتي الفهم ثم الرؤية يأتي قابلية الوعاء التنظيمي لحمل المرحلة.

حيث عرضنا عوامل التفكك أوالهلهلة أوالارتباك الحاصل وصولًا للتنظيم الواثق أوالصلب المطلوب لتكون الأكتاف مؤهلة لحمل الرسالة والأمانة، وفلسطين هي رسالتنا وبوصلتنا وأمانتنا جميعًا كشعب وأمة جمعاء حتى نرى يوم النصر والتحرير القادم بإذن الله تعالى.

***بكر أبوبكر كاتب وباحث مفكر عربي فلسطيني له أكثر من 25 كتابًا ومؤلفًا في الفكر والسياسة والتنظيم والتدريب، وكتب أدبية أخرى، وهو حاليًا رئيس أكاديمية فتح الفكرية أكاديمية الشهيد عثمان أبوغربية. وعضو مجلس إدارة مركز الناطور للدراسات.

مركز الناطور للدراسات والأبحاث.
مركز الانطلاقة للدراسات
2021م